التمهيد

النقد المعجمي: التصور والنشأة والتطور والأدبيات العربية المعاصرة

مداخل تعريفية موجزة

١- تصور النقد المعجمي:

يعرف هارتمان في معجم مصطلحية علم المعجم: Dictionary of lexiography) [ص٣٢ في مدخل: نقد criticism] النقد المعجمي بقوله: "النقد المعجمي نوع من دراسة المعجم، يركز على الوصف والتقويم للمعاجم والأعمال المرجعية الأخرى".

وفحص التعريف إلى نهايته يكشف عن النظر إلى النقد المعجمي بوصفه فرعًا من البحث المعجمي، يستهدف التعرض لما يلي:

أ- الخلفية التاريخية الحاكمة لظهور المعجم أو العمل المعرجعي.

ب- التركيز على فحص المكونات، وأنظمة الترتيب.

ج- بيان قيمة المعجم، أو العمل المعجمي من منظور المستعملين الحقيقيين.

د- ظهور منجز أو ناتج علمي، يتمثل في إنتاج مراجعة علمية نقدية منشورة.

ثم يعود هارتمان فيخصص لهذا الفرع المعرفي مطلبين في كتابه (المعجم عبر الثقافات: دراسات في المعجمية)، هما:

أولًا: نقد المعاجم [ص/٦٢]، بين فيه أن النقد المعجمي أحد فروع البحث المعجمي، وأنه "وسيلة فعالة من وسائل زيادة الوعي العام بالمعاجم، والنهوض بمستوى الإنتاج المعجمي".. وهذه الفقرة هي التي ألهمت هذا الكتاب عنوانه، الذي هو: في سبيل وعيٍ بالمعجم!

ثانيًا: النقد المعجمي [ص/٧٨]، وهذا الطلب أوضح بجلاء أن النقد المعجمي فرع أصيل من فروع البحث المعجمي، الذي هو "الدراسة الأكاديمية لموضوعات مثل طبيعة المعاجم، وغيرها من الأعمال المرجعية، وتاريخها ونقدها، وتصنيفها واستعمالها".

obeikandi.com

ويقول (ص/ ٧٤): إن "البحث في النقد المعجمي (بما هو أحد الحقول الكبرى لتخصص البحث المعجمي) هو الذي يدرس سياق التقييم المرجعي، ويتولد عنه من بين أشياء أخرى صورة كلية للمعجم".

وينبه هارتمان [ص٧٧] على الرغم من ملاحظة التداخل بين التاريخ المعجمي والنقد المعجمي، أو بين الأثريات المعجمية lexicography chaeology وما يتعلق بدراسة القرابات الوراثية بين المعجمات ونقد المعاجم - فإن هذا الفرع الأخير يبقى متمايزًا، يمكن ترسيم حدود خريطة موضوعاته بدرجة دقيقة حاسمة.

٢- النقد المعجمي: تاريخ موجز للنشأة والتطور في الثقافة العربية:

منذ ظهر المنجز المعجمي العربي في مستهل النصف الثاني من القرن الأول الهجري - متمثلًا في المحاولة المعجمية المبكرة: سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس، ثم بالبداية الناضجة المتمثلة في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي - يمكننا أن نقرر أن تاريخ النقد المعجمي في الثقافة العربية قد بدأ، وقد اتخذ ذلك الفرع المعرفي عند العرب صورا متعددة، هي:

أولًا: تكملة المعاجم التي ظهرت، والاستدراك عليها.

ثانيًا: تصحيح ما فرط أصحابها في تحرير مادتها ومداخلها.

ثالثًا: التنبيه على اختلالات الترتيب، ومشكلات الأصول.

رابعًا: إعادة الترتيب على أنظمة تراعي منظور المستعمل.

وقد استمرت صور تطور النقد المعجمي حتى ظهرت مجموعة من الأدبيات العربية المعاصرة اتخذت المسارات التالية:

أولًا: دراسات نقد المعاجم ضمن دراسات المصادر اللغوية في الأكاديميات العربية المختلفة، بما هي مقدمات لازمة لدارس اللسان العربي.

وقد ظهر نقد المعاجم جزءًا ضئيلًا في سياق التعريف بمصادر اللغة، وأنظمة بنائها، بما فيها المعجمات اللغوية وغير اللغوية على السواء.

ثانيًا: دراسات نقد المعاجم ضمن دراسات المعجمية العربية التي توجهت لدراسة منجز معجمي بعينه؛ بهدف بيان قيمته، وما تورط فيه من اختلالات في الترتيب والمنهج وتحرير المادة، والاستدراك عليها، وتنظيم المعلومات المنضوية تحت البنية الصغرى... إلخ.

ثالثًا: البحوث المستقلة في نقد المعاجم، وقد ظهر في هذا المجال مجموعة من الأدبيات المعاصرة، اتخذت المسارات التالية:

١. بحوث شارك بها أصحابها في المؤتمرات والندوات العلمية واللسانية.

٢. بحوث مراجعات علمية نقدية، نشرها أصحابها في دوريات مختصة، بعضها مختص بمراجعات الكتب.

٣. كتب خصصها أصحابها كاملة، أو خصصوا فصولًا منها للنقد المعجمي.

وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى منجز ثلاثة من المعاصرين، يمثل منجزهم نقطة بارزة في هذا الحقل المعرفي، وهم:

١. د. إبراهيم السامرائي بكتابه (مع المصادر في اللغة والأدب: نقد لمراجع اللغة والأدب)، بغداد (ج١) ١٩٨٠م، و (ج٢) ١٩٨١م.

ومما نقده من المعاجم في هذا الكتاب ما يلي:

- نقد كتاب العين (١/ ١١).
- نقد معجم المساعد للأب أنستاس الكرملي (١/ ٢٦٣).
- في معجم الأخطاء الشائعة (٢/ ١١٥)
- ديوان الأدب للفارابي (٢/ ٦٩).

على أن منجز السامرائي هذا أقرب إلى دراسات نقد تحقيق النصوص، أو نقد النشر النقدي منها إلى النقد المعجمي.

٢. د. عبد العزيز مطر، بكتابه (في نقد المعاجم والموسوعات)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ومما نقده من المعجمات والموسوعات ما يلي:

- المعجم الوسيط (ص/٥).

obeikandi.com

- المعجم العربي الأساسي (ص/٥١).
- الموسوعة العربية الموسعة (ص/٩١).
- معجم أسماء العرب (ص/١١٣).

وفحص منجز الدكتور عبد العزيز يمثل حلقة مهمة على طريق الكشف عن التطور الذي حققه النقد المعجمي في الدرس اللساني المعاصر في الثقافة العربية، وهذا الفحص لمنجزه يكشف عن مجموعة من الملاحظ، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: عدم اطراد محددات نقد المعاجم في دراسات في النقد المعجمي، وهو ما يمكن أن يعبر عنه بعبارة أخرى هي: الانطباعية، أو عدم الانتظام في عناصر النقد.

ثانيًا: الخلط بين نقد المعاجم ونقد التحقيق، ولكن بصورة ضئيلة جدًّا، مقارنة بمنجز د. إبراهيم السامرائي.

ثالثًا: إدراج بحوث المشكلات الثقافية للمعجم في بحوث النقد المعجمي، وهي رؤية إدراكية واعية بحدود خريطة بحوث نقد المعاجم.

٣. د. إبراهيم عوض، وقد أفردنا الفصل الرابع لفحص منجزه في النقد المعجمي؛ بما هو مثال ظاهر على جهد المعاصرين في هذا الباب.

ولعلي لا أكون متجاوزا إن قررت أن ما جمعته في هذا الكتاب يمثل محاولة جادة إلى حد ما، تزيد عن مجموع ما سبق من منجز المعاصرين في هذا الباب، وقد حرصت في هذا الكتاب على أمرين، هما:

أولًا: الاطراد في عناصر دراسات نقد المعاجم، وتنوع المعاجم محل الدرس النقدي.

ثانيًا: الكثرة بالمفهوم الكمي، فقد زادت بحوث نقد المعاجم في هذا الكتاب بصورة ظاهرة، مقارنة بمنجز المعاصرين في الحقل نفسه.

وقد سبق مني أن عكفت مدة طويلة من الزمن في مرحلة سابقة على إنجاز مجموعة من "عروض المعاجم" والأعمال المرجعية الأخرى، أراها تمثل حلقة سابقة في طريق الوصول إلى ما سميته الآن باطراد عناصر دراسات نقد المعاجم في هذا الكتاب، ولعلي أعود إليها جامعًا لها في كتاب آخر.